بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و صلى الله و سلم على سيدنا محمد و على آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فقد فرغْنا في المرة الماضية من حديث أبي ذر رضي الله عنه وهو الحديث الرابع والعشرون، ونشرعُ اليومَ إن شاء الله تعالى في الحديث الخامس والعشرين..يقول المصنفُ رحمه الله تعالى: (**عنْ أبي ذَرٍّ رضي الله عنه أيضاً، أنَّ نَاساً مِنْ أصحابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه و سلم قَالُوا للنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله و سلم: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ أهلُ الدُّثُورِ بالأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كما نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أموالِهِم؟ قَالَ: ((أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةً، وَنَهْيٍ عَنْ الْمُنْكَرِ صَدَقَةً، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةً)). قالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيكونُ لهُ فيها أَجْرٌ؟ قَالَ: ((أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ)). رَوَاهُ مُسْلِمٌ**).

هذا الحديث حديثٌ جليل، جاء فيه بيانٌ لأعمالٍ صالحةٍ كثيرة، وفيه فوائد ونُكَت كما سيأتي..وقوله: (**عنْ أبي ذَرٍّ رضي الله عنه أيضاً**)..أبو ذر مضتْ ترجمتُه رضي الله عنه..وقوله رحمه الله: (أيضاً) لأنه راوي الحديث الماضي الذي قبل هذا،وقد تدارسْنا معنى كلمة (أيضاً) في الحديث الثاني من هذا المتن.

وقوله رضي الله عنه: (**أنَّ نَاساً مِنْ أصحابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه و سلم قَالُوا للنَّبِيِّ صلى الله عليه و آله و سلم**) هؤلاء الناسُ جاء بيانُهم في رواياتٍ أخرى، وهو واضحٌ من سياق الحديث أنّهم من فقراء الصحابة.

وقولهم: (**يَا رَسُولَ اللَّهِ**)..هذا فيه تطبيقٌ وامتثال لقوله تعالى: ﴿ **لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً** ﴾**[النور: ٦٣]**.فالله سبحانه وتعالى أرشدَهم إلى الأدبِ في مخاطبة النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم، وهم امتثلوا امتثالاً كاملاً رضي الله عنهم أجمعين.

وقولهم: (**ذَهَبَ أهلُ الدُّثُورِ بالأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كما نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أموالِهِم**)..الدثور هي الأموالُ الكثيرة..فهؤلاء الفقراء أهلُ النفوسِ الزاكية، والهممِ العالية، والنظرةِ البعيدة، أهلِ الطاعات المتوالية جاءوا للتنافسِ في أبواب الخير..رأوا أهلَ الأموالِ من الصحابة يفعلون كفِعلِهم من صلاةٍ وصيام؛أغنياء ولكن ينافسونهم في العبادة، ويَفْضُلونهم ويزيدون عليهم بالصدقات الماليّة ؛فيُعطون المحتاجَ ويعتمِرون ويُجاهدون بفضولِ أموالِهم -يعني الزائدة على نفقتهم ونفقةِ مَن يعولون-!! والفقراءُ لا يستطيعون لِقلَّةِ ذات اليد، أن يفعلوا فعلهم.. لا يملكون المال!! فهكذا سبقوهم الأغنياء بأعمالٍ صالحةٍ لا يستطيعونها! فكانت أجورُهم أكثر! وهذا يدلّ على فضل الغني الشاكر، وأن المالَ قد يكون سبباً لسعادةِ المؤمنِ والعبدِ الصالح كما جاء في الحديث: (نعم المالُ الصالح للعبد الصالح)..وجاء تسميةُ المال في القرآنِ بالخير، قال تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ..** ﴾**[البقرة: ١٨٠]**.طيب: الفقراءُ هنا يُريدون أن يكونوا مثلَهم!وانظروا إلى حسْنِ ظنّ هؤلاء الفقراء بإخوانِهم؛ اعتبروهم عملوا هذه الأعمال بنيّةٍ صالحةٍ وأنهم صادقون فتقبّلَها اللهُ منهم! وانظروا كذلك إلى الحزن الظاهر على سؤالِهم! " **ذهب أهل الدثور بالأجور** " ، ظن حسن و نفس عالية في منافستهم بالخير، ويقولون هذا الكلام و الحزن ظاهر في عبارتهم، موضوعهم الدّين ورضا الله، لا الدنيا! لم ينظروا لها نظرة مال دنيوي! و هذه هي نظرةُ أهلِ الإيمان..

إذن: نستفيد من هذا الموقف أنَّ الصحابةَ رضي الله عنهم أهلُ الآخرة، ليسوا من أهلِ التشوُّفِ لحطام الدنيا الفاني..ونستفيد أيضاً أنَّ الصحابةَ رضي الله عنهم تعلّقتْ قلوبُهم بالله والدارِ الآخرة، ولهذا رضي الله عنهم وهم أحياء يمشون على الأرض ويأكلون ويشربون..ونستفيد أيضا أنّ تنافُسَهم يتعلّق بالأعمالِ الصالحةِ والحصولِ على رضا اللهِ والمنازل العالية، ولم يكونوا يتنافسون على أمور الدنيا فضلاً عن القتال عليها كما يقوله أهلُ البِدَع والكذِب.. الصحابة زَكّاهم الله في القرآن، وزكّاهم رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: (**والذي نفسي بيدهِ لو أنفق أحدكم مثلَ أحُدٍ ذهبا ما بلغَ مُدَّ أحدهِم ولا نصيفَه**)..هذا الكلام يقوله لخالد بن الوليد رضي الله عنه؛ لصحابي متأخر، فكيف إذا جاء الكلامُ في الصحابة من أهل هذه القرون؟! والله المستعان..ومن هنا نعرِفُ أنَّ سؤالَهم لم يكن يشوبُه شيءٌ من الحسدِ أو الرغبةِ في المالِ لذاته.

وقوله صلى الله عليه وسلم : (**أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ؟**)..الهمزةُ هنا للتقرير؛يعني: قد جعل الله لكم ما تتصدّقون به..ثمّ بيّن هذه الصدقات الأخرى وعلّمهم أنَّ الصدقةَ لا تقتصر على المفهوم الخاصِّ؛ على الصدقات المالية فقط؛ **وإنما مفهومُ الصدقةِ أوسَعُ من ذلك وأكبر؛ فهي كلُّ ما عاد بالنفعِ من مالٍ أو علمٍ وغيرِه** كما سيأتي.

وفي قوله صلى الله عليه و سلم(**أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ؟**) هذا بيانٌ لكل مَن يعتذرُ ويتحجَّج بحُجَجٍ واهية؛ فالدين يستطيعُه كلُّ أحد:فقير غني كبير صغير مريض، كل واحد يستطيع أن يترقّى في مقامِ الصدِّيقين ولو كان فقيراً مريضاً عاجزاً.

وقوله صلى الله عليه و آله و سلم: (**إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً**)..هذه الكلمات تعود بالنفع على العبد، وهي أحبُّ الكلمات إلى الله كما جاء في الحديث..وهي غِرَاس الجنّة كما صحّ في الخبر، فهذه صدقةٌ لكنّها تعودُ بالنفعِ على صاحبِها فقط من حيث الأصل، وإن كان فيها في الحقيقة نفعٌ للعباد

والبلاد، فإنَّ الطاعاتِ لها أثرٌ على المكان وجلبِ رحمةِ الله وبركتِه..وقد انتشر بين كثيرٍ من الأخيار أنَّ العبادةَ التي نفعُها متعدٍّ أفضلُ من العبادةِ التي نفعُها قاصر..**وهذه القاعدة ليستْ على عمومها وإطلاقِها**، فهناك عبادات قاصرة مما يسمّيها الفقهاء "**قاصرة**" لكنها أفضلُ بكثير من العبادات التي يتعدّى نفعُها بحسَبِ تقسيم العلماء كالصلاة مثلا؛ فالصلاة أفضلُ من الزكاةِ بالإجماع، مع أن الزكاة نفعها متعدٍّ و الصلاة نفعها قاصر على حسب تقسيم الفقهاء..وكثير منهم يفهَم هذه القاعدةَ فَهماً خاطئا من المعاصرين، و حاول الشيخ ناصر العمر حفظه الله أن يعالجَها في محاضرةٍ نفيسةٍ أوصي بها باسم (وكانوا لنا عابدين).

وقوله صلى الله عليه وسلم: (**وَأَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةً، وَنَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةً**)..فرّق بينهما، فكلُّ واحدٍ منهما عبادةٌ منفصلة، الأمر بالمعروف عبادة، و النهي عن المنكر عبادة انتبهوا لهذا؛ فإن يُبنى عليه أحكامٌ مهمّة ليس هذا موضع بسطِها..طيب: هذه –الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر– من الصدقاتِ التي يتعدَّى نفعُها، فتنفع صاحبَها وتنفع غيرَه مباشرةً..ترى مقصِّراً في أمرٍ من أمور الدين المعلومة بالضرورة؛ فتنصحُه نصيحةً حسنة..تقول: يا أخي الكريم، حفظك الله وبارك فيك..الآن وقت الصلاةِ، وكلنا محتاجون لرحمة الله، ونتلطّفُ في النصحِ حتّى نُحبِّبَ الناسَ بهذا الدين..وانظروا لإبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو يقول لوالده المشرك المعاند: ﴿ **يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً**﴾**[مريم: ٤٢]** وقال﴿ **يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً**﴾ **[مريم: ٤٣-٤٥]**...يآ أبت..يآ أبت .. هكذا يُكرِّرُ في الآيات والنداءِ وعرْضِ هذا الدين..وفي الحقيقة هنا وقفات كثيرة لكن الوقت قليل..إذن: أمرُك بالمعروف، ونهيُك عن المنكرِ صدقةٌ عظيمة..ولاحظوا: يُعدِّدُ لهم صدقاتٍ يستطيعونها كلَّ يومٍ بل كلَّ لحظة..ونوّع لهم بين صدقاتٍ على أنفسِهم وصدقاتٍ على غيرِهم

كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه الأخيرة بها تُحفَظُ المجتمعات، وتنجوا البشرية من المهلكات.

وقوله صلى الله عليه و آله و سلم: (**وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةً**)..البُضع في الأصل بمعنى: البَعْض..ويُطلقونَه على ماءِ الرجلِ فيُكنّى به عن الجماع، لأنّه بَعْضُ الرجل..ويُطلَقُ على الفرجِ كذلك كنايةً عن الجماعِ..وهذا كلُّه من أدَبِ النبي صلى الله عليه و آله وسلم؛ يعلّمنا الأدب في اجتنابِ الفاحشِ البذيء من الألفاظ..إذن: إذا جاء أحدُهم أهلَه ففيه صدقةٌ مع أنّها فطرةٌ بشرية غريزة ..ونبّههم على هذا لأنّه لا ينقدِحُ في الذهنِ أنه صدقةٌ وللعبدِ فيه أجر، ومع ذلك أثبتَ الأجرَ فيها..فماذا قالوا؟ (قالوا: **يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيكونُ لهُ فيها أَجْرٌ؟**)..قالوا ذلك على سبيل التعجّب والاستغراب!!..هذا فعلاً أمرٌ غريب، يقضي شهوتَه ويتلذّذُ بفطرتِه المجبولةِ فيه ويأخذُ عليها أجراً! مثل أن تقول: يشرَبُ ماءً ويأخذُ أجراً! أو ينامُ ويُؤْجَرُ على نومِهِ! هذه كلّها غريبة! ونستفيدُ من سؤال الصحابةِ هنا أنَّ طالبَ العلم يسألُ عمّا أشكلَ عليه من جواب الشيخ وكلامه..فقال صلى الله عليه و آله و سلم: (**أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ**)). **رَوَاهُ مُسْلِمٌ**)..هنا استعملَ النبي صلى الله عليه و سلم القياسَ، يُسمّونه قياسَ العكس..فإتيانُ الأجنبية حرام، وتُكسِبُ إثما؛ إذن: إتيانُ أهلِك حلالٌ وتأخذُ أجراً..تتعامَلُ بالمعاملاتِ الشرعيّة في البيع والشراءِ والإيجارِ وتجتنبُ المحرّماتِ تأخذُ أجراً أيضاً..وهذا من عظيمِ كرمِ اللهِ وفضلِه..**ونستفيد من جوابِ النبيِ صلى الله عليه و آله و سلم أنَّ العالمَ وطالبَ العلم ينبغي له أن يحِلَّ الإشكالَ ويُجيبُ على الشبهاتِ إن استطاع..**

طيب: هل تُشترَطُ النيةُ ليُؤجَر العبدُ على عمله المباح كوضْعِ اللقمةِ في فمِ أمِّه أو زوجتِه وتقبيلِ ولدِه ونومِه...إلخ من الأعمالِ المباحة؟ خلافٌ بين أهل العلم؛ **فجمهورُهم**

على اشتراط النية، وعلى هذا نعرِفُ معنى قول العلماء: النية بابٌ عظيم من أبواب الخير..وقد جاء عن بعضِهم أنه يحتسِب سبعين نيّةً عند فتح البابِ ونحو ذلك..واختار هذا القول- أعني اشتراط النية لحصول الأجر- النووي وابن تيمية وابن رجب وابن حجر وغيرُهم رحمةُ اللهِ على الجميع..واستدلّوا بأدلّةٍ كثيرة، منها قولُه تعالى:﴿ **لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**﴾[النساء: ١١٤] ..فعلّقها بهذا الوصفِ" **ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ**"..ومنها قولُه صلى الله عليه و آله وسلم: (إنّك لن تنفقَ نفقةً تبتغي بها وجهَ اللهِ إلاّ أُجِرتَ عليها)..ومنها ما في "الصحيح" كذلك (إذا أنفق المسلمُ على أهلهِ نفقةً وهو يحتسبها كانت له صدقةٌ)..وهذا القول هو الأقربُ للصوابِ فيما يظهر، والله تعالى أعلم.

طيب ، ما هو معنى الاحتساب؟ أجاب على هذا الإمام النووي رحمه الله في "شرح مسلم" ، فقال: معناه: " **أَرَادَ بِهَا وَجْه اللَّه تَعَالَى. فَلَا يَدْخُل فِيهِ مَنْ أَنْفَقَهَا ذَاهِلًا، وَلَكِنْ يَدْخُل الْمُحْتَسِب، وَطَرِيقه فِي الِاحْتِسَاب أَنْ يَتَذَكَّر أَنَّهُ يَجِب عَلَيْهِ الْإِنْفَاق عَلَى الزَّوْجَة وَأَطْفَال أَوْلَاده وَالْمَمْلُوك وَغَيْرهمْ مِمَّنْ تَجِب نَفَقَته عَلَى حَسَب أَحْوَالهمْ، واختلاف العلماء فيهم ،وأن غيرهم ممن ينفق عليه مندوب إلى الإنفاق عليهم ، فيُنفق بنيّة أداء ما أُمِر به ،وَقَدْ أُمِرَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَاَللَّه أَعْلَم.** انتهى كلامه ؛ هذا كلام النووي رحمه الله في شرح مسلم ..وعلى هذا نقول: احتساب الرجل عند إتيان أهله بأنَ يعفَّ نفسَه وأهلَه، ويستنَّ بسنّتِه صلى الله عليه و سلم في الزواج، ويُكثِرَ من نسلِ أمّة النبي صلى الله عليه وسلم، ويُخرِجَ جيلاً صالحاً دعاة علماء...إلخ..

ثم قال المصنفُ رحمه الله: (**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ،**

وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ.رواه البخاري ومسلم)).

هذا الحديث في ظاهره يُشبِه الذي قبلَه، ولكن في الحقيقة فيه إشاراتٌ مهمّة جدًا، ولذلك عدّه بعضُ العلماء من قواعد الدِّين، وكذلك المصنفُ رحمه الله أتى به هنا بعد حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه لنكتة مهمة؛ لأجلِ تكميلِ الفكرة والصورة..لأنَّ الحديث السابق فيه الصدقاتُ التي مبناها بين الإنسانِ وربِّه؛ العلاقة بين الإنسان وربه، وفيها الصِّبْغَةُ الدينيّة أو الشرعية -إن صحّ التعبير-أعمال واضحةٌ بيّنة كالأمر بالمعروف والتسبيح والتهليل إلى آخره..وأما في هذا الحديث؛ فأكثر ما فيه يتناول جانبَ علاقةِ الإنسانِ بالآخرين من الناس، ليُبيّن أنّها من صُلبِ الدين، و أنها من العباداتِ التي يُؤجَر عليها المسلم..فقوله رحمه الله: **(عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه)** هذا الصحابي سبقَتْ ترجمتُه رضي الله عنه.

وقوله صلى الله عليه و سلم: **(كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ)**..السُّلامَى -بضم السين- هو : المِفصِل أو العَظم الصغير وقيل غير ذلك..لكن الأشهر أنّها المفاصل..وهذه المفاصل نعمةٌ عظيمةٌ لا يعرفُها إلا مَن فقدها..أحدُ أعمامي مصابٌ في مَفصِلِ يده، ولو ترون كم الأذى الذي يجدُه، وكم هي المنافع التي فاتَتْهُ بسبب تصلُّبِ هذا المِفصِل= لتعجَّبتُم..نحن في صِبغةِ نِعَمٍ من الرأس إلى القدَم ﴿ **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**﴾ **[لقمان: ٢٠]**..نحن الآن نعرِفُ بعضَ الظاهرة، وهناك كثير من الظاهرِ والباطنِ من نعمِ الله لا نعرفُها..فكلُّ جزءٍ من بدنِ الإنسانِ في حدِّ ذاتِه نعمةٌ من الله..وتركيبُها بهذه الصورة نعمةٌ أخرى في كلِّ عضو..فهل رأيتم كرماً كهذا؟!..اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك..

وقوله صلى الله عليه و آله و سلم: **(عليه صدقةٌ)** هذا خبر المبتدأ**(كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ)**..وقوله صلى الله عليه و آله وسلم: **(كلَّ يومٍ تطلُع فيه الشمس)** هذا ظرف، وذِكْرُ طلوع الشمس لدفعِ ما قد يُتوهَّمُ من أنَّ المراد مطلقُ الوقت..**والمقصود: تجِبُ عليك صدقةٌ على هذه المفاصل كلَّ يومٍ تطلُع فيه الشمس**..فهذه النِّعم تحتاجُ إلى شكرٍ متجدّدٍ في كلِّ يوم..وهذا كثير جدا..**فالمفاصِل تقريباً ستون وثلاثمئة..وهذا كثير؛ لا يستطيع أوساطُ الناسِ أن يتصدّقوا بهذا كلَّ يوم**..فدلّهم النبيُّ صلى الله عليه و سلم على أبوابِ وأنواعِ الصدقاتِ التي بها يؤدّون شكرَ هذه النعم، وهي صرفُها في طاعة الله، ففصّل ذلك وبيّن أنواعَ الصدقاتِ حتّى لا يُظنّ أنّها نوعٌ واحدٌ فقط، فأبان ذلك بقوله صلى الله عليه و آله و سلم: **(تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ)**..يعني تُصلِحُ بالعدلِ بين متخاصمَينِ أو مختلفَينِ..هذه صدقةٌ عظيمة تقومُ مقامَ شُكرِ هذه النِّعم التي أعطاكَ اللهُ إيّاها، وجاء في فضلِ الإصلاحِ آياتٌ وأحاديث كثيرةٌ جدًّا..قال تعالى: ﴿ **وَالصُّلْحُ خَيْرٌ**﴾ **[النساء: ١٢٨]**

وقوله صلى الله عليه و آله و سلم:**(وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ)**..وهذا من باب المثال فقط، وقِسْ على هذا صوراً كثيرة من صُوَرِ مساعدةِ الناسِ لنفعِهم وقضاءِ حوائجهم، وقد جاء في الحديث: (واللهُ في عونِ العبدِ ما كان العبدُ في عون أخيه)..وقوله صلى الله عليه و آله وسلم: **(وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ)**..الكلمة الطيبة هي التي تُدخِلُ السرورَ على النفس، وتؤلِّفُ بين القلوبِ وتُطيّبُها، سواء كان القلب قلبَ صاحبِها كالتسبيح والتهليل، أو قلبَ غيرِه كالدعاءِ والثناءِ ونحوِه..وعلينا أن ننتبه لسياقِ الكلمة الطيبة، قد نأتي بها في سياقٍ ومقصدٍ غير حسنٍ..كأن تقول لأخيك مثلا: فلان الله يعفو عنه، أو فلان: رجلٌ طيّب ما أريد نكسِب سيئات ونحو هذا..هذا كلُّه غير طيّب في المقصدِ والمراد وإن كان ظاهرُه طيب..يعني: إذا كان المرادُ لمزَه.

وقوله صلى الله عليه و سلم: (**وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ**)..الخَطوة معروفة: المسافةُ بين القدمين عند المسير..ولْنتأمّل هذه الجملة وما فيها من ترغيب للمساجدِ ومثلِها أماكن الطاعةِ كطلب العلم ونحوِه..كلُّ خُطوة إلى الصلاة صدقة..الله أكبر..هل رأيتم كم نغفَل عن مثل هذه المعاني والاحتساب ! لو كنا نحتسِبُ هذا لَمَا جاءنا طيفُ ملَلٍ ولا تكاسل عند أهل النفوس والهِمَم، فتذكير الناسِ بمثل هذه الفضائل مهمّ جدا يبعث فيهم رغبة و إقبالا على الطاعات ..

وقوله صلى الله عليه و آله و سلم : (**وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ.رواه البخاري ومسلم**)..الإماطة بمعنى الإزالة، والأذى عام يشمَلُ الحجرَ والخشبَ والحصى والقاذورات ونحوَ ذلك..وقد جاء في الحديث أنّ رجلاً رآه النبيُّ صلى الله عليه و آله وسلم يتقلّب في الجنة بسببِ غصن شوكة أزاحها من طريقِ المسلمين خشيةَ أن تُؤذيَهُم..هذا في الطريق المحسوس المرئي، **فكيفَ بمَن يُميطُ الأذى ويُزيلُه من طريق المسلمين المعنوي الهادي إلى الجنِة والموصلِ إلى رضوان الله و ذلك بتعليمهم الدين ودعوته إليه؟!** فهل نحن مستحضرون لهذه المعاني؟! هل المسلمون قائمون على نصفِ هذه المعاني؟! فكم نحن بعيدون من الدين شعوباً وأفراداً وجماعات ؟، والله المستعان..

جاء أنّه يُجزِئُ من ذلك ركعتان يركعُهما من الضّحى..فهاتان الركعتان صدقةٌ على البدَن.

ثم قال المصنفُ رحمه الله تعالى: (**عن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعانَ رضي الله عنه عَن النَّبِيِّ صلى الله عليه و سلم قالَ: ((الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ))**. **رواه مسلم. وعنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ رضي الله عنه قالَ: أَتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فَقالَ: ((جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ؟)) قُلْتُ: نَعَمْ، قالَ: ((اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ،**

وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ)).حديثٌ حسنٌ رَوَيْناهُ في مسندي الإمامين أحمد بن حنبل والدارمي بإسنادٍ حسن)..فهذان حديثان من الأحاديثِ المهمّة، وهو من جوامعِ الكَلِم كما سيتبيّن.

وقوله رحمه الله: **(عن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعانَ رضي الله عنه)**..راوي هذا الحديث هو الصحابيُّ الجليل نوّاس بنُ سَمْعان أو سِمْعان بن خالد العامري الكِلابي ، صحابيٌّ مشهور رضي الله عنه ، سكنَ بالشّام..وراوي الحديث الثاني: وابصةُ بن معبدٍ الأسَدي رضي الله عنه، أسلَمَ سنة تسعٍ للهجرة، وعُمِّرَ بعد النبي صلى الله عليه و سلم..

وقوله صلى الله عليه وسلم: **(الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ)**..مضى معنا أنَّ البِرَّ يشمَلُ جميعَ ما يرضاه الله من الأعمالِ والأقوال، هذا إذا وردَ غيرَ مقترنٍ بالتقوى ونحوِه كما هو هنا..وقوله صلى الله عليه و سلم: **(حسنُ الخلق)**..هذه الكلمة أو الخبر يحتمِلُ معنيين: إذا جعلْنا الألف واللام الداخلة على كلمة "البر" للعموم والاستغراق كان معنى (حسن الخلق) بمعناه العام؛ يشمَل حسنَ الخلقِ في معاملتك مع ربّك وفي معاملتك مع الناس..فتتّصفُ بالصفاتِ الطيّبة وبالفضائل وتجتنب الرذائل والتقصير في حقّ مولاك وخالقك وفي حقّ خلقِه وعبيده..هذا هو التفسير الأول.

وإن جعلْنا "أل" الداخلةَ على كلمة البر للجنس، وكان المعنى غالب البر أو مُعظَم البِر؛ فيكون معنى (حسن الخلق) حينئذٍ معاملةَ الخلق..والأول هو الأقرب، وكلا المعنيين محتمل..وعلى كل حال: يجِبُ على المسلم أن يتّصفَ بحسنِ الخُلُقِ في علاقتِه مع ربّه ومع خلقِه..وتأملوا هذه الصيغة: **(البِرُّ حسنُ الخلق)!!** هذه من أساليب الحصر..فحسنُ الخلقِ جامعٌ لكل أبواب البِرّ والخير، والنفوس تنقادُ لمن حَسُن خلقُه ولو فيه ما فيه..

وقوله صلى الله عليه و آله سلم: (**وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**)..الإثمَ هو ما يُوجِبُ الإثم، وهو هنا ضدُّ البِرَّ والمراد به الذَّنْب ونحوُه..وصفَ الإثمَ بوصفين:

وصفٌ يتعلّق بالقلب أو بالباطن، ووصفٌ يتعلّقُ بالخارجِ أو الظاهر؛ فما حاك في النفس بمعنى تردّد وصرتَ منه على وجلٍ وفي قلَقٍ من كونها ذنبا وإثما..وهذا دليلٌ على أنَّ الإثمَ سببٌ عظيمٌ من أسبابِ القلَقِ والاضطرابِ وعدمِ الراحةِ والطمأنينة(**وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ**).

والصفة الثانية: (**وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**)..يعني كرِهْتَ ذلك ديناً وعبادةً أن يطّلِعَ عليه الناس، والمقصود بـ " **الناسِ**" هنا أهل الدين والصلاح والعقل و أهل الفطرةِ السليمة، لا الغوغاء والجهلةِ وأهل الفساد..وهذا النوع من القلوب الذي جاء وصفه؛ فيه كلامٌ كثيرٌ جدا ومهمٌّ للشيخ الإمام ابن تيمية ولغيره من أئمةِ المسلمين وعلمائهم، لكن نكتفي بهذه الإشارة..وسبقَ معنا في حديث النعمان بن بشير بيانُ حكمِ المشتبهاتِ وما يتردّدُ في نفسِ المسلم..

والخلاصة: المراد بهذه الكراهية من ناحية ديانة المسلم، وليس المقصود كراهية اطّلاعِ الخلق على بعض عبادات السر كمن يكره أن يطلع الناس على عبادته لأجلِ الإخلاصِ مثلا، ولا عبرة بمنكوسِ الفطرة الذي لا يستحي ولا يُبالي.

ونأخذ مثالًا في قوله (**وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ**). جئتَ تستفتِي عالماً في مسألةٍ وأجابك بالجوازِ، وأنت تعلَم بأنَّ هناك تفاصيلاً لو اطّلعَ عليها –هذا المفتي –لغيّر رأيَه مثلا، أو تؤثّرُ في الحكم، ولم ترتَح لفتواه وبقيتَ في ريبٍ واضطرابٍ من العمل بفتواه؛ فحينئذٍ اتركه "**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**" ..هذا كمثال: وهذه درجةٌ عالية، وبعضُ الناسِ يفهمها خطأً، فيردّ

فتاوى بهواه وبحجّة عدمِ ارتياحِ قلبه لها..وهذا خطأ، فالمقام في مقام الاشتباهِ وعدم وجودِ العلّةِ التي بها يُحكَم بالحِلّ أو الحُرمة، كما بيّنا في المشتبهات ، هذا مقام ورع .

وقوله صلى الله عليه و على آله في حديث وابصة: (**جئتَ تسألُ عن البر**)..أطلعه ربُه على أمرٍ من الغيب، فالمولى يرتضي باطلاع مَن شاء على علمِ الغيب..وقوله صلى الله عليه و آله وسلم: (**اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ**)..ولا يكون فيه شبهةٌ من ناحية الدليلِ وعدمِ وضوحِ العلّةِ والصورةِ للمفتي..وهذا كقوله صلى الله عليه و آله وسلم: (دعْ ما يريبك إلى ما لا يريبك)..وقوله صلى الله عليه و آله و سلم: (**وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ**)..قال "**الناس**" ولم يقُل العلماء ،يعني إذا أفتوك بلا دليلٍ شرعيٍّ يُستندُ إليه، وإنما فتاوى بالأهواءِ ، و فتاوى من غوغاءِ الناسِ و أهل الهوَى..أو فتاوى بناءً على ظاهرِ الأمورِ وأنت أعلمُ ببواطنِها التي تقتضي الاشتباه..فإن المفتي يُفتي على ما يظهَرُ ويفهَم..وأما إذا كانت الفتوى مبنيةً على معرفةٍ بالتفاصيل ، و على دليل شرعي واضح الذي لا شبهةَ فيه عند أهل العلم ؛ فلا ينبغي حينئذٍ للمسلمِ أن يردَّها..كيف يردها وقد أمر اللهُ بالرجوعِ لأهل العلم في غير ما آية وحديث! ..فلا يأتِ آتٍ ويقول : هذا الحكم أردُّه لأنّ قلبي لا يقبلُه هكذا مطلقاً..لا .. وعلى هذا فلا ننسَ أنَّ الكلامَ موجّه إلى أصحابِ النفوسِ المطمئنّةِ السليمة..وقد قال الله تعالى : ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾**[النساء: ٦٥]**..وعلى هذا ؛ فالمشتبهات عند أهل الإيمانِ والتقوى تدخُل في هذا ، وقد سبق معنا قوله صلى الله عليه و آله و سلم : (ومَن وقع في الشبهاتِ وقع في الحرام)، والورعُ مرتبةٌ من مراتب أهل الإيمان..وحديث وابصة هذا متكلّم فيه، وأعلّ بعللٍ مذكورةٌ في الشرح الثاني . والله تعالى أعلم.و صلى الله وسلم على سيدنا محمد و على آله وصحبه أجمعين و الحمد لله رب العالمين.